Al-Qalam القلم
p-ISSN: 2071-8683, e-ISSN: 2707-0077
Volume:27, Issue:1, 2022, pp.351-366

دراسة نقدية لكتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد مالك الكاندهلوي

Analytical study of Book *Manahil ul Irfan fi Uloom-el-Quran by Sheikh Muhammad Malik Kandahlvi*

Dr. Amtul Aziz
Assistant Professor, Faculty of Islamic Studies, International Islamic University, Islamabad, Pakistan, Email: amtul.aziz@iiu.edu.pk

Abubakar Siddique
PhD Scholar, Department of Arabic Language, National University of Modern Languages, Islamabad , Pakistan, Email: rehanaranatts@gmail.com

KEYWORDS

QURAN, ISLAMIC SCHOLARS, MALIK KANDAHLVI, SUB- CONTINENT, QURANIC SCIENCES: ANALYTICAL STUDY, QURAN TRANSLATION, ISLAMIC STUDIES

Date of Publication:
20-11-2021

ABSTRACT

This study aims at analyzing the approach of Moulana Muhammad Malik Kandhalvi towards the sciences of Quran as it is one of the important Islamic subjects which have been addressed by prominent Muslim scholars. The article highlighted of the basic subjects of Quranic Sciences written in Urdu literature originally or depending on its primary sources in Arabic language. On the other hand this study leads the reader to know the concepts of Quranic commentaries written in the last era by the different school of thoughts in sub-continent. One of the aims of this article is to study basic aspects of Quranic studies have been propounded by scholars, commentators.

التمهيد:

لقد قام العلماء بوضع مبادئ فن علوم القرآن الكريم في كل عصر ومصر، وتواصلت جهودهم جـيلًا بعـد جيـلٍ، إلى أن تمكّنـوا مـن ترسـيخ مبـادئ هـذا العلـم، وتثبيـت قواعـده، وسـاهم المتخصصون من العلماء في هذه المسيرة العلمية، وكان من بين هؤلاء العلماء الأجلاء، علماء شبه القارة الهندية من مختلف المدارس الفكرية والفقهية، وكان لهم باعٌ طويلٌ في خدمة العلوم والفنون الإسلامية عمومًا، وعلوم القرآن خصوصًا، ولكن لا تزال هذه الأعمال خافية عن كثير من الدارسين والباحثين خاصة عن أخواننا العرب، والمسلمين الذين لا يعرفون اللغة الأردية؛ هذا الأمر كان من بين البواعث الرئيسة في دفعي إلى اختيار هذا الموضوع لأقدّم نبذة من دراسات معاصرة في مجال خدمة لعلوم القرآن الكريم باللغة الأردية[1]

وتاريخ علوم القرآن باللغة الأردية حديث كحداثة اللغة الأردية، والفضل في بدء الكتابة المفصلة في علوم القرآن الكريم وأصول التفسير باللغة الأردية يرجع إلى عائلة الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي. رحمه الله. الذي وضع لبنات أساسية لهذا الفنّ. ومن الشخصيات العلمية التي ساهمت في خدمة علوم القرآن: حميد الدين الفراهي، شمس الحق الأفغاني، والسيد سليمان الندوي، وعبدالسلام الندوي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد أويس الندوي النكرامي، وأسلم جيراجبوري، ومالك الكاندهلوي، وقاضي مظهر الدين البلكرامي، وجوهر الرحمن، والمتفي محمد تقي العثماني، والمفتي عبدالشكور، وغلام أحمد الحريري،وأنور شاه الكشميري، وغيرهم من العلماء الذين ظهرت جهودهم في خدمة علوم القرآن.

ومن خلال تصفحي للكمّ الهائل من التراث العلمي من الكتب الجامعة لفنّ علوم القرآن الكريم باللغة الأردية، فقد لاحظت أن أصحابها قد استفادوا كبيراً من بحوث ومؤلفات المتقدمين، وأضافوا فيها حسب ما رأوا من الضرورة وفق الظروف التي عاشوها في شبه القارة الهندية؛ وذلك لأن المؤلف دائمًا يتأثر من بيئته ومجتمعه، ويحاول مناقشة متطلبات عصره، كما أن هناك كُتُباً أُلفت ورُتّبت لضرورات معينة من التدريس أو التحقيق أو الردّ على مواقف معينة أو الدفاع عن مواقف معينة.

في هذا المقال سوف أقوم بتوفيق من الله تبارك وتعالى. بتقديم دراسات معاصرة لكتاب مشهور في علوم القرآن باللغة الأردية، والكتاب الذى اخترته هو "منازل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد مالك كاندهلوي

أولًا: نبذة عن المؤلف:

وُلد الشيخ محمد مالك الكاندهلوي في عام 1925م ببلدة كاندهله، بإقليم اتربرديش (يوبي. بالهند)، وكان والده الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي يُعدّ من كبار العلماء المعروفين بشبه القارة الهندية[2]. وكانت نشأته في بلدة عرفت بالعلماء، منهم مؤسس جماعة التبليغ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1303-1364هـ) وكان من جهة أبيه صدِّيقيّ النسب، ومن جهة أمه فاروقِيّ النسب كما كتب ابنه الشيخ محمد ميان الصدِّيقيّ: "الحمد لله شجرة النسب محفوظة لدى الشيخ محمد علي الصديقي السيالكوتي"[3]

وفي عام 1358هـ بأمرٍ من والده ذهب إلى دار العلوم ديوبند، وفيها أكمل تعليمه للحديث والتفسير والعلوم العقلية من الفلسفة وعلم الكلام، وكان والده الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في تلك الفترة يدرس التفسير في دار العلوم ديوبند. وبقي الشيخ في دار العلوم ديوبند لفترة ثلاث سنوات ودرس فيها الصحيح البخاري من العلامة شبير أحمد العثماني، وفيما بعد أكمل دورته للحديث الشريف من الجامعة الإسلامية في دابهيل[4].

ومن أشهر تصانيفه: تفسير معارف القرآن، شرح البيضاوي، التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، تحفة القاري في حلّ مشكلات البخاري، الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، شرح مقدمة صحيح الإمام البخاري، تحفة الإخوان بشرح حديث شعب الإيمان (دراسة لسبعين شعبة من شعب الإيمان)، مقدمة الحديث، منحة الحديث في شرح اَلفية الحديث، عقائد الإسلام، سيرة المصطفى، أصول الإسلام، ختم النبوة، الإسلام والنصرانية، حياة الصحابة، حاشيةالمقامات، علم الكلام، القول المحكم، حياة عيسى عليه السلام، شرائط النبوة، مسك الختام في ختم نبوة خير الأنام، وغير ذلك من الكتب النافعة[5].

خدماته التعليمية والعلمية: بدأ يدرس في مدرسة جامعة العلوم في بهاولنكر، وفي عام 1365هـ بأمر من شيخه العلامة شبير أحمد العثماني انتقل إلى الجامعة الإسلامية بدابهيل حيث كان قد أكمل تعليمه فيها قبل فترة، وبدأ يدرس فيها الحديث الشريف، وأما بعد هجرة والده وأسرته إلى باكستان في عام 1367هـ بدأ يدرس في دار العلوم تندو اله يار، ودرّس فيها لمدة 25 سنة وبعد وفاة والده بدأ يدرس الصحيح البخاري في الجامعة الأشرفية بمدينة لاهور مكان والده، وظل فيها مدرسًا إلى آخر حياته، كان درسه للبخاري معروفًا بالقبول"[6].

وقد ألف الشيخ عددًا من الكتب والرسائل، على رأسها كتب أصول التفسير التيتتعلق بالقرآن الكريم،منها كتاب منازل العرفان في علوم القرآن، وكان يعدّ من العلماء المعروفين والمحققين في عصره. وإنه أكمل تفسير والده الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، معارف القرآن، حيث إن

والده لم يكن قد أكمل التفسير فى حياته وعمل عضوًا في مجلس الفكر الإسلامي[7] التابع للحكومة الباكستانية إلى جانب اشتغاله في مجال التدريس والتأليف انتُخب عضوًا في مجلس الشورى للرئيس الباكستاني الراحل الجنرال ضياء الحق، وعمل عضوًا في المجالس العلمية للجامعة الإسلامية بإسلام آباد والمؤسسات العلمية الأخرى، وأقام الشيخ في آواخر عمره مؤسسة في مدينة كراتشي لتأهيل خريجي المدارس الدينية[8].

اهتمامه بعلوم القرآن وأصول التفسير: لكون والده من كبار العلماء في عصره وشهرته بتفسيره (تفسير معارف القرآن)، ومؤلفاته الأخرى في التفسير والحديث، فإن الشيخ محمد مالك الكاندهلوي خطى خطوات على معالم والده، وركّز على التفسير وأصوله، وعلوم القرآن

ثانيًا: دراسة نقدية لكتاب منازل العرفان في علوم القرآن

يُعدّ هذا الكتاب من الكتب الأساسية التي أُلفت في علوم القرآن الكريم باللغة الأردية، وهو يحتوي على 236 عنوانًا فرعية،وقد طُبع في مجلد كبير، يتكون من جزأين: الأول منهما يتعلق بفنّ بعلوم القرآن،

والجزء الثاني: يتحدث عن العلوم والمعارف المنتقاة من القرآن الكريم، وهذا الكتاب يعتبر من المراجع الأساسية في اللغة الأردية للدارسين في علوم القرآن الكريم. وقد "ألف الشيخ محمد مالك الكاندهلوي كتابًا ضخمًا حول علوم القرآن، وآمل أن هذا التأليف كتاب جامع ومفيد في معرفة مطالب القرآن الكريم"[9].

ويقول الشيخ محمد مالك الكاندهلوي في مقدمة كتابه بعد سرده لبعض الآيات والأحاديث عن رسالة القرآن الكريم وفضله: "هذا الكتاب، منازل العرفان في علوم القرآن يشتمل على بعض هذه المباحث التي تُوصل دارسيها. إن شاء الله. إلى فهم الأمجاد الحقيقية لعلوم القرآن، كذلك يُعرفُ من خلاله الطريقة التي تُمكّن الإنسان من إصلاح اعتقاده، وأعماله، وأخلاقه، ومعاشرته، ومعاملاته، كما يمكن من خلال العمل عليه الحصول على الفوز والفلاح والسعادة العظمى"[10].

تبويب الكتاب وتنويع المباحث: ومن خلال مطالعة الكتاب فإنني وجدت أن الشيخ محمد مالك الكاندهلوي اعتمد في تبويب كتابه على تبويب الإمام السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن، كما اعتمداعتمادًا كبيرًا على مباحثه، ونقلها إلى اللغة الأردية،وقد أضاف إليها ما رآه مناسبًا من آرائه الشخصية،كما اعتمد كثيرًا على آراء المتقدمين في مؤلفاتهم، منها (أحكام

القرآن)للقرطبيوفتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني، و(روح المعاني) للإمام الآلوسي، و(التبيان في علوم القرآن) للعلامة الجزائري.

إنه قدم من خلال كتابه هذا آراء المتقدمين والمتأخرين من العلماء، كما أبدى عن آرائه الشخصية باستدلالاته النقلية والعقلية،ومن مميزات هذا الكتاب هو التبويب الدقيق على نهج الإمام السيوطي،وللمثال ننظر أنه قسم **باب القرآن** إلى مباحث تالية: (1)القرآن (2)المفهوم الاصطلاحي للقرآن (3)أسماء القرآن الكريم (4)فضائل القرآن الكريم (5)نزول القرآن الكريم (6)كيفية نزول القرآن الكريم (7)متى نزل القرآن الكريم (8)الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي[11].وقسم **باب التفسير** إلى العناوين التالية: (1)التفسير والتأويل (2)شرح التأويل الصحيح والتأويل الفاسد (3)المفهوم الاصطلاحي للتفسير (4)ضرورة التفسير (5)منزلة ومجد فن التفسير (6)موضوع التفسير (7)العلوم الضرورية للتفسير (8)مراتب التفسير (9)أصول صحة التفسير والتفسير بالرأي (10)التفسير في كلام الله (11)أقوال الصوفيين والعارفين (12)طبقات المفسرين [12].

وعلى هذا الغرار قسم الأبواب الرئيسة لعلوم القرآن إلى أقسامها الفرعية حتى يسهل على الدارسين فهمها بسهولة، وإنه اتبع منهج الإمام السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن في تبويب وعنونة كتابه، حيث نراه في باب نزول القرآن يتبع منهج الإمام السيوطي ويقسمه على النحو الآتي: (1) السور التي نزلت في السفر (2)السور التي نزلت في الليل (3)السور التي نزلت بعد الفجر الصادق (4)السور التي نزلت في النوم أو في حال وجوده على سريره (5)الآيات التي نزلت في الفضاء بين السماء والأرض والملأ الأعلى[13].وهذا الترتيب لم نره في كتب علوم القرآن إلا عند الإمام السيوطي، ونقله الشيخ محمد مالك الكاندهلوي عنه.

مناقشة الآراء المختلفة وترجيح البعض على الآخر: إلى جانب ذكره للآراء المختلفة للعلماء حول القضايا المختلفة نجد الشيخ يقارن بين الآراء المختلف فيها، ويرجح رأيًا منها على رأي آخر أو آراء أخرى.وعلى سبيل المثال نرى أن الشيخ قد بحث المفهوم اللغوي للفظ القرآن بعد جمعه الآراء المختلفة لعلماء اللغة والمفسرين بهذا الشأن، ثم استخلص بحثه بهذه العبارة "الأولى عند أغلب الأئمة والقراء هو أن لفظ القرآن استعمل بمعنى القراءة، كما في قوله تعالى: [فإذا قرأناه فاتبع قرآنه][14]، على أية حال هذا ما يُرى أفضل من حيث المعنى بأن لفظ القرآن مأخوذ من مادة (قرأ) بمعنى المقروء والمتلو، وهذا يعني القرآن سمي على أساس المعنى بأن القرآن هو الكتاب الحقيقي الذي يستحق القراءة"[15].وتحدث عن ترتيب السور بعد إجابته على السؤال

عن ترتيب السور القرآنية هل هو ترتيب توقيفي أو اجتهادي؟، وذكر الرأيين مع أدلة قائليها، واستخلص البحث بقوله: "بناءً على الأدلة النقلية والروايات التي بينتها فإن رأي العبد الفقير يميل إلى أن المصحف كلام الله، وهو من أوله إلى آخره توقيفي من حيث ترتيبه وتأليفه الذي قرره الرسولﷺ، وكذلك لا يُرى قرينًا للقياس بأن الرسولﷺ يكون قد ترك شيئًا عن القرآن الكريم مبهمًا ومخفيًّا من غير توضيحه وتصريحه، على العموم فإن الصحابة كانوا يتلون القرآن الكريم، والظاهر أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون مخفياً بأنه على أي ترتيب كان الصحابة يتلون سورتي الأنفال والبراءة، فعليه يُرى بأن المسلك الأولى والقول الأنسب هو أن ترتيب جميع السور مثل الآيات ترتيب توقيفي على الإطلاق، وإنه على الترتيب الخاص الذي قرره النبي الكريمﷺ كما أن ترتيب هاتين السورتين أيضًا، حسب ترتيب تلاوتهﷺ والغاية ما في الباب يمكن أن يكون الدخل للاجتهاد في هذا الباب هو هل الأنفال والبراءة سورتان مستقلتان أم أنهما سورة واحدة"؟[16].من خلال تصفح الكتاب أيضًا يُلاحظ أن الشيخ محمد مالك الكاندهلوي يراعي ترجيحات الإمام السيوطي أحيانًا، كما نقل في باب نزول القرآن قول الإمام السيوطي في الحاشية وقال: "رجح الشيخ السيوطي هذا القول أن هناك صورتين ونوعيتين لنزول القرآن من اللوح المحفوظ، مرةً نزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم نزل منها تدريجيًّا خلال ثلاثة وعشرين سنة إلى القلب المبارك للرسولﷺ، وأما الأقوال الأخرى فإنها ليست بقوية وصحيحة لدى العلماء المحققين"[17].وأيضًا نرى أن الشيخ اعتمد على رأي الإمام السيوطي في آخر السور وآخر الآيات التي نزلت من القرآن الكريم ويقول: "على العموم فإن هذه الصورة تُرى صورة حقيقية للتطبيق بين هذه الأراء، وتؤيدها القرائن والروايات، وقد نقل الشيخ جلال الدين السيوطي أثر الإمام علي بن الحسينرضي الله عنهبسند الواحدي يقول فيه:"**أول سورة نزلت على رسول الله ﷺبمكة: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ،وآخر سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة: المؤمنون، ويقال: العنكبوت؛ وأول سورة نزلت بالمدينة: [وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ] وآخر سورة نزلت في المدينة: [بَرَاءَةٌ ...]**"[18].

والرواية الكاملة هي كالآتي: "أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد المقرى قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرى قال: حدثنا أبو الشيخ قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أيوب قال: حدثنا محمد بن علي ابن الحسن بن سفيان قال: حدثنا علي بن الحسين بن واقد قال: حدثني أبي قال: سمعت علي بن الحسين يقول: " أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة: اقرأ باسم ربك، وآخر سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة: المؤمنون، ويقال العنكبوت، وأول سورة نزلت

بالمدينة: ويل للمطففين، وآخر سورة نزلت في المدينة براءة، وأول سورة علمها رسول الله ﷺ بمكة: والنجم، وأشد آية على أهل النار ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾ (النبأ: 30) وأرجى آية في القرآن لاهل التوحيد ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك﴾ (النساء: 48) الآية (19)

الاستفادة من تفسيرات أساتذته: إلى جانب استفادته من المتقدمين فإنه قد استفاد من رأي بعض أساتذته وها هو يستفيد من آراء شيخه العلامة شبير أحمد العثماني في تفسيره لآية **[لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته]**[20]، وينقل قول شيخه "إنه لمقام الحسرة والأسف بأن لايكون أثر للقرآن الكريم على قلب الإنسان، بالرغم من أن تأثير القرآن قوي وشديد لغاية لو أنه أنزل على شيء صلب مثل الجبل لاستسلمت الجبال أمام عظمة المتكلم لو كان فيه عنصر الفهم، وإنها لتصدعت قطعة قطعة بسبب الخوف"[21]. وأيضاً ينقل أشعار والد الشيخ شبير أحمد العثماني من قصديته المطولة "واحسرتاه إن لم يقع على قلبك تأثيره ... ولكن الجبل يستعد ليكون خاشعًا متصدعًا منه"[22].وأيضًا نراه في باب إعجاز القرآن الكريم يستفيد استفادة تامة في البداية من الإمام السيوطي، وأما في بحوثه الأخرى فاستفاد فيها من مقدمة الشيخ أنور شاه الكاشميري في كتابه مشكلات القرآن الكريم"[23].

الاعتماد على الأدلة العقلية والمنطق: إلى جانب اعتماده على الأدلة النقلية فإنه في كثير من الأماكن في كتابه يوضح مواقفه بأدلة عقلية وأدلة منطقية، وهذه محاولة منه لتسهيل فهم المباحث الدقيقة بأدلة عقلية، هذا هو الشيخ الكاندهلوي بعد سرده للآراء المختلفة حول أولوية السور من حيث النزول، يبين رأيه بوضوح مستدلًا بالأدلة العقلية والمنطقية، "المراد من أولوية سورة الفاتحة أنه بعد توقف الوحي أنزلت هذه السورة في نفس المجلس، ويُعلم من روايات كتب السيرة بأن الصلاة كانت مقررة وثابتة في كل عهد وزمن. .... قبل المعراج كانت الصلاتين مقررتين ومن الظاهر أنه لا صلاة بدون الفاتحة، وأيضًا الفاتحة هي أم القرآن، وهذا يعني أن سورة الفاتحة هي أساس ومبدأ للقرآن الكريم، وهي بمثابة البذرة التي تشمل على الوجود الإجمالي للشجرة، والبذرة تكون متقدمة عن الشجرة وكذلك فإن الترتيب الطبيعي يقتضي أن يكون لأم القرآن تقدم من حيث النزول على مجموع القرآن الكريم،وبهذا فإن هذا التأويل يكون أقرب إلى القبول"[24].

وفي موضوع ضرورة التفسير يقول مقدمًا أدلته العقلية: "الشرح والتفسير لكل مُخَاطَبٍ مثل نور الشمس، وللانتفاع بنور الشمس، فإن الإنسان يحتاج إلى قوة بصرية ...، وفي ظلمات الليل

يكون البصر عاجزًا عن الرؤية، مهما يبذل من جهد، كذلك الأعمى يحرم من الرؤية حتى في النهار مهما يطمع، ليُعلم فإن أشعة شمس النبوة ضرورية إلى جانب الفكر الإنساني والقدرة المعرفية، لفهم مطالب ومضامين القرآن الكريم"[25].ويضيف عليه فيما بعد موضحًا توضيحًا مفصلًا "ما دام هذا الأمر يثبت من التجربة والمشاهدة بأن عامة الناس يعجزون عن فهم كلام الحكيم أو الفلسفي أو الشاعر العظيم أو الإنسان الفصيح البليغ، فيتمّ شرح ذلك الكلام كما يتمّ الشرح المفصل لكل شعر من الأشعار فحينئذ يفهم عامة أهل العلم المفهوم، فما بال كلام الله .تعالى .الذي يحمل خصائص عظمة الله وكماله؛ فكيف يمكن للشخص العادي أن يصل إلى مطالب ومعاني القرآن الكريم من غير الشارع والمفسّر"[26].والشيخ محمد مالك الكاندهلوي أيضًا اعتمد على الحجج العقلية في بيان بعض مواقفه أو في تأييد مواقف المتقدمين، ها هو يقول في بحثه في باب موضوع التفسير: "التحقيق والتفصيل عن الشيء الذي لا يتعلق بموضوع العلوم والمقاصد القرآنية لايكون تفسيرًا، فمثلًا لو أن شخصًا بصدد شرحه وتفسيره لقوله تعالى: [ياهامان ابن لي صرحًا][27] يبدأ البحث عن أصول وتفاصيل فن البناء والتعمير، ويبين على أي وجه يتم البناء والتعمير...، بيان مثل هذه المباحث وشرح المسائل الهندسية بصدد تفسير القرآن يكون مثل بيان الإسكافي مسائل إصلاح الأحذية في كتاب القانون والدستور، وهذا صحيح أن صناعة الأحذية وإصلاحه صنعة مفيدة، ولكن يرى كل عاقل من الحمق بيان مسائل هذه الصناعة في شرح كتاب القانون والدستور، فلهذا يُستسحن ذكر الشيء الذي يكون له ربط أو صلة، ولهذا فإن مضامين القرآن تكون هي التي لها صلة مع القرآن والعلوم الروحية ومقاصد الهداية"[28].

الردّ على شبهات واعتراضات المعترضين: عنْون الشيخ في باب جمع وتدوين القرآن الكريم موضوعًا بعنوان "بعض أوهام وشبهات المعترضين والردّ عليها"، وردّ فيها على الشبهات التي أثيرت حول جمع وتدوين القرآن الكريم، وذلك بالاستدلال من الأدلة النقلية والعقلية، فإنه يذكر أولًا اعتراضًا ثم يردّ عليه ويقول عن واحد من تلك الشبهات: "يقال مادام القرآن الكريم نزل خلال ثلاثة وعشرين سنة، ونزلت آياته من حين لآخر، وكانت تُكتب على قطعات من الجلد والحجر والعظام وغيرها، ومن الظاهر أن هذه الأشياء تكون منتشرة ومتفرقة، فتم ترتيب القرآن الكريم في عهد سيدنا أبي بكر الصديق .رضي الله عنه .فلا يكون من الغريب أن تكون بعض من تلك الآيات قد ضاعت"[29]. وبعد ذكر هذه الشبهة يردّ عليه الشيخ محمد مالك الكاندهلوي مستدلًا بالأدلة النقلية والعقلية "في نظر الصحابة الكرام هذه الأشياء لم تكن

بمثابة قطعات من الجلد والحجر، بل إنها كانت أثمن من الأحجار الكريمة واللآلئ، ولا يتوهم أي عاقل أن الأحجار الكريمة واللآلئ الموجودة لدى جماعة تضيع بسبب مرور الأيام"[30]. ونراه يردّ منطقيًّا على اعتراض الشيعة[31] الذين يقولون بأن كلًا من سيدنا أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان. رضي الله عنهم. قاموا بتحريف في القرآن الكريم. العياذ بالله. والشيخ محمد مالك يردّ عليهم بالنقل والعقل ويستخلص قوله: "يمكن أن يتصور به الإنسان المحروم عن العقل والفكر كما أن الأمر الذي يدعو إلى التفكير هو أنه جاء عهد سيدنا علي بن أبي طالب. رضي الله عنه. بعد عهد سيدنا عثمان. رضي الله عنه. وإن لم يكن قد استطاع أن يعمل شيئًا في عهدهم، فكان قد عمل في عهده؟ أولًا : هذا التصور تصور باطل لأن سيدنا عليًّا. رضي الله عنه. كان رجلًا جريئًا، فالتصور عنه أنه قد سكت في أمر كتاب الله يعتبر إهانة وإساءة إلى مقام سيدنا علي بن أبي طالب. رضي الله عنه. وعلى العموم وأيًّا كان الأمر عندما كان عهد خلافته قد بدأ كان عليه أن يخبر المسلمين، ويقول: أيها المسلمون هذه هي السور والآيات التي أخرجها أبوبكر وعمر وعثمان. رضي الله عنهم. (وأنا أدخلت فيه مرة ثانية)، ولو نفترض حسب قول الشيعة إن كان هؤلاء الصحابة قد أخرجوا جزءًا من القرآن الكريم فماذا كان المانع أمام سيدنا علي. رضي الله عنه. بأنه لم يصرّح بذلك؟!. وهل يتحمل الشيعة بأن يقول الناس في سيدنا علي. رضي الله عنه. بأنه كان عاجزًا عن الحفاظ على الدين الإسلامي والقرآن الكريم إلى درجة أنه لم يستطع ولا مرة بإظهار الحق؟! كما لم يستطع أن يقوم بأي خطوة عملية تجاهه. ولكن إن كان الشيعة يريدون هذه الإهانة لأسد الله سيدنا علي. رضي الله. فإنهم هم مسؤلون، وهذا لا يليق بهم. وأما أهل السنة فاعتقادهم وإيمانهم عن الصحابة هو بأنهم كانوا محافظين لعصمة الرسول والقرآن الكريم والدين، وكان من هؤلاء الذين شهد عنهم القرآن الكريم بقوله: [يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم][32][33].

الردّ على التأويلات الباطلة في التفسير: في مبحث عن أصول صحة التفسير والتفسير بالرأي أوضح الشيخ محمد مالك الكاندهلوي الأصول والأسس لصحة تفسير القرآن الكريم، وذكر أمثلة للتأويلات الباطلة حسب رأيه لبعض المفسرين، وعلى سبيل المثال نذكر بعض الأمثلة التي ذكرها الشيخ في هذا الباب. وفي تفسيره آية **[إن الذين آمنوا والّذين هادوا ...]** [34]، وآية **[ربّ أرني كيف تحيي الموتى]**[35] قال: "إن في تفسير ترجمان القرآن للشيخ أبو الكلام آزاد. رحمه الله. وقعت أخطاء ومخالفة لتفسير أهل الحق"[36]، وبعد ذكر ترجمة أبوالكلام آزاد وتفسيره عن الآيتين المذكورتين يردّ عليه قائلًا : "إنه ذكر نجاة اليهود والنصارى، وأجرهم عندالله دون

الإيمان برسول الإسلام ﷺ، وهذا مخالف لأصول الدين وتفسير الأئمة المفسّرين"[37]، وفي الصفحة التالية يذكر مثالًا آخر ويقول: "إن الشيخ آزاد اختار نفس الأسلوب في تفسير آية **[كونوا قردة خاسئين]**[38]، وحمله على المسخ المعنوي بدلًا من المسخ الصوري، بينما جمهور المفسرين يتفقون على المسخ الصوري"[39]. ومشيرًا إلى تفسير آخر يقول: "أستاذ جامعي في الجامعة المليّة في دهلي المولوي عبد الحي، وهو أستاذ التفسير في الجامعة المليّة وقد كتب تفسيرًا مشابهًا له (لتفسير الشيخ أبو الكلام آزاد)، وهذا التفسير مليء بالتحريفات من الأول إلى الآخر"[40].واستفاد الشيخ كثيرًا من تحقيقات وتأليفات العلماء والمحققين المتقدمين والمتأخرين، وهو يستفيد استفادة تامة من تلك التحقيقات والتأليفات وأدلتها النقلية والعقلية، هذا ما نراه بصورة جلية في بحثه عن "خصائص الخط القرآني" حيث إنه يقوّي رأيه برأي من قبله وهو يقول: "إنه قد تمّ توضيح هذه المسألة توضحيًا إضافيًّا في حواشي كتاب المغني لإمام ابن قدامة، وهو محقق حنبلي معروف، أنه منذ نزول القرآن الكريم إلى هذه الدنيا ومنذ أن قام الرسول ﷺ بدعوة العرب والعجم وجميع العالم لا يثبت أنه ﷺ راعى لوضع العجم، فأرسل ترجمته أو أجاز كتابته في خط عجمي"[41].

لم يذكر الشيخ المصدر الكامل كما أنه لم يراجع إلى المصدر الأصلي الذي كان متوفرًا، وهذا ما أذكره عن المصدر الأصلي فالعبارة الأصلية في المغني والشرح الكبيرهي كالآتي:**المغني:** "(فصل) ولا تجوز القراءة بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ عربي، سواءً أحسن قراءتها أو لم يحسن به، وبه قال الشافعي وأبويوسف ومحمد، وقال أبوحنيفة يجوز ذلك وقال بعض أصحابه إنما يجوز لمن لم يحسن العربية، احتج بقوله تعالى: **[وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ]**[42] ولا ينذر كل قوم إلا بلسانهم"[43]. **وبحاشيته:** "نقل الحنفية عن أبي حنيفة أنه راجع عن هذا القول ولم يعمل به أحد من مقلديه ولا من غيرهم، فاستمر الإجماع العملي قراءة جميع المسلمين القرآن في الصلاة وغيرها بالعربية، كأذكارها وسائر الأذكار والأدعية المأثورة على كثرة الأعاجم، حتى قام بعض المرتدين من أعاجم هذا العصر يدعون إلى ترجمة القرآن وغيره من الأذكار والتعبد بالترجمة، وإنما مرادهم التوسل بذلك إلى تسهيل الردة على قومهم، ونبذ القرآن المنزّل من عند الله وراء ظهورهم، وهو إنما أنزل باللسان العربي كما هو مصرّح به في الآيات المتعددة، إنما كان تبليغه والدعوة إلى الإسلام والإنذار به، كما أنزله الله تعالى، لم يترجمه النبي ﷺ ، ولا أذن بترجمته ولم يفعل ذلك الصحابة ولاخلفاء المسلمين وملوكهم، ولو كتب النبي ﷺ كتبه إلى قيصر وكسرى والمقوقس بلغاتهم لصح التعليل الذي علّل به ذلك

القول الشاذ، الذي قيل إن أنا حنيفة قاله وعلّله به وأصرح ما يراه من الآيات قوله تعالى:**[نزل به الروح الأمين 0 على قلبك لتكون من المنذرين 0 بلسان عربي مبين]** [44]"[45].وأما الشيخ فقد نقل ترجمة مختصرة لهذه العبارة وقال مستخلصًا قوله: "أن الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ إلى ملوك العجم من القيصر والكسرى والمقوقس، صورها موجودة اليوم أمام العالم، لم يستخدم فيها الرسول ﷺ لغة عجمية ولا خطًّا عجميًّا، بل إنها كتبت بالخط الكوفي، وهو واحد من الخطوط العربية، وأيضًا القرآن الكريم هو كلام أحكم الحاكمين وربّ العالمين، فعظمته الملكية تقتضي مراعاة عظمة وتفوق اللغة التي أنزله الله بها"[46].

الرجوع إلى الحقائق والأدلة التاريخية: أوضح المؤلف عددًا من المواقف في كتابه بالاعتماد على الحقائق والأدلة التاريخية، ففي بحثه عن جمع القرآن الكريم في عهد خلافة سيدنا عثمان .رضي الله عنه .قدم الحقائق والأدلة التاريخية، وأوضح من خلال الروايات التاريخية الموثوق فيها عن كيفية بقاء مصحف سيدنا عثمان .رضي الله عنه .إلى يومنا هذا، وكيفية حفاظه في المكتبات. وبعد ذكره كل هذه التفاصيل يقول الشيخ الكاندهلوي: "بعد كل هذه التفاصيل التاريخية لا يمكن التصور أن حرفًا من القرآن الكريم يكون قد ضاع"[47].ثم ذكر الشيخ محمد مالك الكاندهلوي بعض المقتبسات للمؤرخين ليثبت تاريخيًّا أن المصحف العثماني محفوظ إلى اليوم بشكله الأصلي، وفيه دليل على حفظ القرآن الكريم، وعدم تأثره بمرور الزمان، واستفاد المؤلف في هذا المقام مما نقله المؤرخون المسلمون وغيرهم، وذكر بالتفصيل كيف نُقل المصحف العثماني ووصل إلينا اليوم في وضعه الأصلي، ويقول : "هذا هو المصحف الذي أجمعت عليه جماعة الصحابة.رضوان الله عليهم أجمعين، وهو ثابت بروايات تاريخية، ومن هذه النسخة أعدّ سيدنا علي .رضي الله عنه .النسخ"[48].

دراسة الخدمات التفسيرية لعلماء شبه القارة الهندية: من الأبواب الإضافية والجيدة هو إضافة الشيخ محمد مالك الكاندهلوي ما نقله في باب (طبقات المفسّرين)،وقد ذكر في الطبقة التاسعة خدمات علماء شبه القارة الهندية في مجال التفسير والعلوم القرآنية، وذكر الشيخ ما رأه مناسبًا في هذا الباب من تاريخ مبسط لتراجم وتفسير القرآن الكريم في شبه القارة الهندية، وذكر المؤلفات التي رآها الأهم في مجال التفسير وعلوم القرآن، كما فصلّ بعض تلك المجهودات والمؤلفات خاصة التي ألّفها أصحاب مدرسته التفسيرية التابعة للمدرسة الحنفية الديوبندية"[49].

الحواشي والتعليقات على الكتاب: أضاف بنفسه في كتابه حواشي وتعليقات في بعض الأماكن التي رآها ضرورية، وهذا ما سيشاهده القارئ في صفحات الكتاب، وهذا ما أغنى كتابه عن الشرح، ولعل الشيخ لجأ إلى هذا الأسلوب ليكون كتابه هذا كتابًا مقررًا في المناهج المقررة في المدارس الدينية، وكثيرًا ما يحتاج إلى تلك التعليقات والحواشي طلاب المدارس الدينية وأساتذتها، حتى لا يخطأوا في فهم مقصود المؤلف.

من المآخذ على الكتاب: اعتمد الشيخ كثيرًا على كتاب الاتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، وأنه اكتفى على ذكر ما ذكره الإمام السيوطي حتى في تخريج الأحاديث، وعزو الأقوال إلى قائليها، وفي بعض الأماكن أنه نقل عن الإمام السيوطي ولم يذكر المصدر، ولكنه في كثير من الأماكن عزاه إلى ما قاله الإمام السيوطي، وبناءً على هذا يمكن أن يقال بأن هذا الكتاب ترجمة لكتاب الإمام السيوطي إلى حدٍ كبير مع إضافات الشيخ محمد مالك الكاندهلوي. **وثانيًا:** لم يقم المؤلف بتخريج الأحاديث التي نقلها، كما لم يذكر حكم المحدِّثين عليها من الضعف والصحة، وقد يكون السبب أنه لم يكتب كتابًا محققًا في علوم الحديث، ولكن في حالة ذكره للحكم على الأحاديث المذكورة في الكتاب لكان قيمة الكتاب قد زادت مما عليه الآن، وأرى أنه على طلاب الشيخ ورفقائه إكمال هذه المسيرة حتى تزداد المكانة العلمية لهذا الكتاب القيم.

خدمته لمدرسة الأحناف التفسيرية من خلال كتابه منازل العرفان في علوم القرآن: حاول الشيخ محمد مالك الكاندهلوي من خلال هذا التصنيف أن يقدم كتابًا في فن علوم القرآن الكريم بطريقة علمية، ولكنه في الأماكن التي رأى فيها ضرورة الدفاع عن المذهب الحنفي أو المبادئ التفسيرية فإنه دافع عنها، وذكر أسباب ذلك الدفاع، كما أنه في بعض الأحيان ذكر ما رآه من الأخطاء في المدارس التفسيرية المعاصرة له، ولكن الشيخ الذي يميّز الشيخ هو ما ذكره الشيخ المفتي محمد تقي العثماني عن الشيخ أنه "كان متمسكًا بمسلك وبمزاج علماء ديوبند، ولكنه كان بعيدًا عن التعصب، وكان يسعى دائمًا من أجل وحدة الأمة في المقاصد المشتركة للدين، ومن أجل ذلك كان الناس. من المسالك الأخرى بالرغم من خلافهم معه. يعترفون بمكانته العلمية وإخلاصه للدين"[50].

****

الحواشي والمراجع والمصادر

(1) وكان موضوع رسالتي في الدكتوراه **جهود علماء شبه القارة الهندية في علوم القرآن باللغة الأردية في القرن العشرين: (دراسة ونقد)**

Subject of thesis of PhD was Efforts of Muslim scholars of sub-continent in Quranic Sciences in Urdu Language during twentieth century (analytical study)

(2) سيد قاسم محمود، **شاهكار إسلامي انسائيكلوپيڈيا**)، (الفيصل ناشران، لاهور، 2005م)، 1453

Syed Qasim Mehmood, **Excellent Islamic Encyclopedia** (Al-Faisal Nashiran, Lahore, 2005), 1453

(3) محمد ميان صديقي، **تذكرة مولانا إدريس الكاندهلوي** (مكتبة عثمانية، لاهور، 1977م)، 31

Muhammad Mian Siddique, **Tazkira Moulana Idrees Kandhalvi,** (Maktba Usmania, Lahore, 1977), 31

(4) سيد قاسم محمود، **المؤسوعة الإسلامية المميزة**، 1453-1454

Syed Qasim Mehmood, **Excellent Islamic Encyclopedia**, 1453-1454

(5) المصدر نفسه، 30

Ibid, 30

(6) محمد تقي العثماني، المفتي، **نقوش رفتگان** (إدارة المعارف، كراتشي، 1998م) 308

Muhammad Taqi Usmani, **Nuqoosh-e-Raftagan** (Idara tul Marif, Karachi, 1998), 308

(7) موقع المجلس: www.cii.gov.pk Website

(8) محمد تقي العثماني، المفتي، **نقوش رفتگان**، 308

Muhammad Taqi Usmani, **Nuqoosh-e-Raftagan**, 308

(9) حكيم أنيس الصديقي مقال بعنوان **دار العلوم كي تفسيري خدمات** (مجلة الرشيد الصادرة من لاهور، عدد خاص عن دار العلوم ديوبند، فبراير ـ مارس 1976م)، 586

Hakeem Anees Siddiqui, **Article Dar ul Uloom ki Tafseeri Khidmat,** (AlRasheed Magazine published in Lahore, Special Edition of Dar ul Uloom Deoband, Feb-Mar 1976), 586

(10) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن** (ناشران قرآن لميتد، لاهور، ط: بدون)، 3

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran** (Nashiran Quran Ltd, n.d.) 3

(11) المصدر نفسه، 3

Ibid, 3

(12) المصدر نفسه، 5

Ibid,5

(13) السيوطي، الحافظ جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن**، (دار ابن كثير، بيروت، 1987م)، 17/1

AL-Siyuti, Hafiz Jalal-ud-din, **Al-itqan fi Uloom-el-Quran** (Dar ibn Kaseer, Beirut, 1987), 1/17

(14) القيامة،75 : 18

Al-Qiyamah, 75:18

([15]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، 22

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 22

([16]) المصدر نفسه، 192

Ibid,192

([17]) السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، 80/1

AL-Siyuti, **Al-itqan fi Uloom el Quran**, 1/80

([18]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، 45

([19]) الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، **أسباب النزول**، (دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1987م)، 48

Alwahdi alnasiabouri, Abu alhasan Ali bin Ahmed, **Asbab –e- Nazool**, (Dar ul Qiblah for Islamic culture, Jeddah, and Uloom ul Quran Foundation Beirut, 1987), 48

([20]) الحشر، 59 : 21

AL-Hashr, 59:21

([21]) شبير أحمد العثماني، محمود الحسن الديوبندي، **القرآن الكريم وترجمة معانيه وتفسيره إلى اللغة الأردية** (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، 1989م)، 727

Shabbir Ahmed al-Usmani, Mehmood ul Hassan AL-Deobandi, **Urdu Translation and Tafseer of Noble Quran** (King Fahad Complex for printing of Quran Sharif, Madinah Monawarrah, 1989), 727

([22]) المصدر نفسه، 727

Ibid, 727

([23]) المصدر نفسه، 307-326

Ibid, 307-326

([24]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، 71

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 71

([25]) المصدر نفسه، 218

Ibid, 218

([26]) المصدر نفسه، 218

Ibid, 218

([27]) غافر، 40: 36

Ghafir, 40:36

([28]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، 223-224

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 223-224

([29]) المصدر نفسه، 162

Ibid, 162

([30]) المصدر نفسه،: 163

Ibid, 163

([31]) الشهرستاني، أبوالفتح محمد بن عبدالكريم، **الملل والنحل**، (دار السرور، بيروت، 1948م)، 1/234-235

Al-Sherastani, Abul Fateh Muhammad Abdul Kareem, **Almilall wal Ninal** (Dar ul Saroor, Beirut, 1948), 1/234-235

([32]) المائدة، 5: 54

Al-Maidah, 5: 54

([33]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، 172-173

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 172-173

([34]) البقرة، 2: 62

AL-Baqrah, 2: 62

([35]) البقرة، 2: 258

AL-Baqrah, 2: 258

([36]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، ص: 261

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 261

([37]) المصدر نفسه، 261

Ibid, 261

([38]) البقرة، 2: 65

AL-Baqrah, 2: 65

([39]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، ص: 262

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 262

([40]) المصدر نفسه، 265

Ibid, 265

([41]) المصدر نفسه، 182

Ibid, 182

([42]) الأنعام، 6: 19

AL-Inam, 6: 19

([43]) ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، **المغني**، (دار الكتب العربي للنشر والتوزيع، بدون)، 1/526

Ibn-e-Qudama, Mowafiq ul Din Abi Abdullah bin Ahmed bin Muhammad, **Al-Mughani** (Dar ul Kutub Al-Arabi for Publishing and distribution, n.d.), 1/526

([44]) الشعراء: 26: 192-195

AL-Shuara, 26: 192-195

([45]) ابن قدامة، **المغني**، 1/526

Ibn-e-Qudama, **Al-Mughani** 1/526

([46]) محمد مالك الكاندهلوي، **منازل العرفان في علوم القرآن**، 182

Muhammad Malik Kandhalvi, **Manzil ul Irfan fi Uloom el Quran**, 182

([47]) المصدر نفسه، 142

Ibid, 142

([48]) المصدر نفسه، 142

Ibid, 142

([49]) المصدر نفسه، 300–310

Ibid, 300-310

([50]) محمد تقي العثماني، المفتي، **نقوش رفتگان**، 309

Muhammad Taqi Usmani, **Nuqoosh-e-Raftagan**, 309